مؤسسة التعاون
WELFARE ASSOCIATION

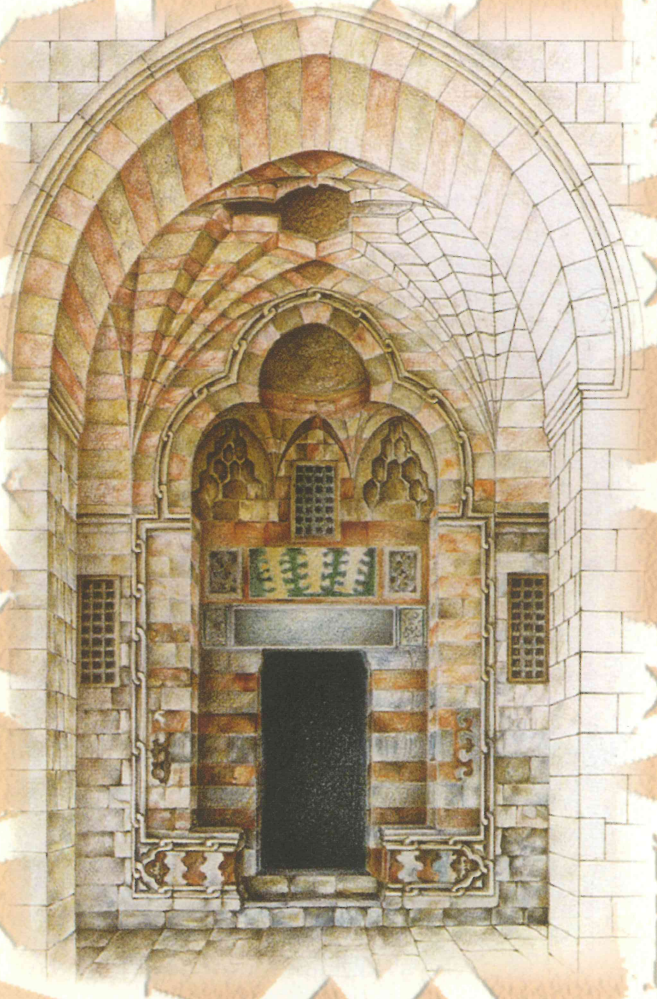

المدرسة الأشرفية

مؤسسة التعاون
WELFARE ASSOCIATION

المدرسة الأشرفية

صدر عن مؤسسة التعاون

المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس

القدس 2007

تصميم وإعداد النص

المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة في القدس

مؤسسة التعاون

شكر خاص لمؤسسة فورد التي دعمت إنتاج هذا الكتيب من خلال دعمها لبرنامج التوعية الجماهيرية

A special thanks to the Ford Foundation who gratefully funded this publication as part of their support for the community outreach programme.

المخططات: ارشيف المكتب الفني

الصور: ارشيف المكتب الفني والمصور ستيف سابيلا

الغلاف الأمامي: رسم لمدخل الأشرفية، المصدر: Kroyanker Jerusalem Architecture

الغلاف الخلفي: أحد أقواس البائكة الجنوبية.

تصميم وطباعة: مطبعة المنار الحديثة

المحتويات

الموقع وسبب التسمية

مكونات الموقع

المدخل

الدرج

القاعة الرئيسية

الطابق الأول

استخدامات المدرسة الاشرفية وأعمال الترميم الحديثة

المراجع

الموقع وسبب التسمية:

تقع المدرسة الأشرفية على الرواق الغربي للحرم الشريف، بين مئذنة باب السلسلة والمدرسة العثمانية، وقد يكون لموقعها داخل الحرم الفضل في شهرتها، وقد سماها مجير الدين بالجوهرة الثالثة حيث يقول: "ومن أعظم محاسنها كونها في هذه البقعة الشريفة ولو بنيت في غير هذا المحل لم يكن عليها الرونق الموجود عليها ببنائها فإن الناس كانوا يقولون قديما: مسجد بيت المقدس به جوهرتان هما قبة الجامع الأقصى وقبة الصخرة الشريفة. قلت: وهذه المدرسة صارت جوهرة ثالثة فإنها من العجائب في حسن المنظر ولطف الهيئة، والله الموفق."*

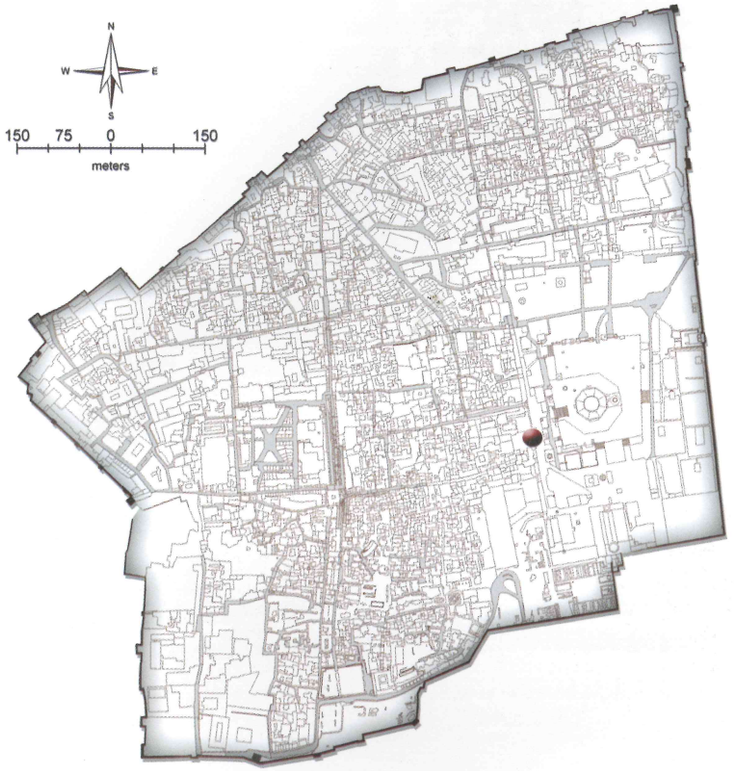

موقع المدرسة الأشرفية في البلدة القديمة

* الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، طبعة مكتبة النهضة ١٩٩٥، ج٢ ص ٣٢٩.

ينسب البناء الحالي للمدرسة الأشرفية للملك الأشرف أبي النصر قايتباي، ذلك أن البناء القائم اليوم هو الثالث الذي يقام في نفس الموقع في فترة لم تتجاوز عشرين عاما، ولم يبقى من البنائين السابقين شيء، إذ أن كل منهما هدم لإتاحة المجال لإقامة المبنى الذي يليه، ولا نجد سوى نقشين ملكيين باسم السلطان خشقدم صاحب البناء الأول في الموقع*، ويقول مجير الدين أن الأمير حسن الظاهري قد بنى المدرسة القديمة للملك الظاهر خشقدم، ثم بعد وفاته سأل الملك الأشرف قايتباي قبولها فقبلها ونُسبت إليه، ويبدو أن عمارتها لم تعجبه عندما زار القدس في سنة ٨٨٠هـ، فأمر بهدمها وإعادة بنائها، وهذا ما تم الانتهاء منه سنة ٨٨٧هـ، حيث نُقش على جانبي المدخل العبارة التالية "أمر بإنشاء هذه المدرسة المباركة الإمام الأعظم والملك المكرم السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي عز نصره، وكان الفراغ من ذلك في شهر رجب سنة سبع وثمانين وثمانمائة" وهو الموافق لشهري أب وأيلول من العام ١٤٨٢للميلاد.*

ومن المعالم التي تنسب للأشرف قايتباي في القدس سبيل قايتباي الشهير الواقع في ساحات الحرم الشريف قبالة المدرسة الأشرفية، وهو بناءٌ آيةٌ في الروعة والجمال.

سبيل قايتباي، وتظهر المدرسة الأشرفية ومئذنة باب السلسلة في خلفية الصورة إلى اليمين

* Mamluk Jerusalem, p 589

* نفس المصدر السابق، ص 591

صورة للمدخل ، ويبدو باب المدرسة إلى اليسار

مكونات الموقع:

المدخل:

إن أول ما يلفت انتباه الزائر للموقع هو ذلك المدخل الفخم الغني بالألوان و الزخارف الرائعة، وهو ملاصق للقاعة الرئيسة أو قاعة المجمع التي سنأتي على ذكرها لاحقا من الناحية الجنوبية، ويتكون من قوسين مدببين من الناحيتين الشرقية والجنوبية، مشكلا بذلك ما يشبه المظلة لبهو المدخل والدرج المؤدي إلى الطابق الأول، وكذلك لشباك قاعة المجمع الجنوبية، وأكثر ما يميز بناء المدخل استخدام الحجر الأبلق، أي بتناوب اللونين الأحمر والأبيض في بناء مداميك الحجر، وهذا الأسلوب في البناء ميز عمارة العصر المملوكي عما سبقه وما تلاه.

يتكون سقف المدخل من أربعة أقواس مدببة ومنحنية تتقاطع في المنتصف، ويقع في الواجهة الغربية باب المدرسة الرئيسي، ويعلو الباب أحجار معشقة من اللونين الأبيض والأسود إضافة إلى اللون الأحمر، ويوجد فوق الباب شباك مستطيل الشكل تعلوه مقرنصات جميلة يضمها إطار بشكل قوس ثلاثي المراكز، أما الجهة الشمالية فتحتوي على شباك مستطيل الشكل لقاعة المجمع الرئيسية، ويعلو هذا الشباك عدة تشكيلات من الحجارة المعشقة باللونين الأبيض والأحمر، بالإضافة إلى تشكيل دائري أدخلت فيه الحجارة السوداء، وينتهي هذا الجانب من الأعلى بمقرنصات يضمها إطار مستطيل الشكل من الحجارة الحمراء.

يبدو أن المدخل والقاعة الرئيسية قد بنيا في نفس الوقت، كما يظهر من استمرارية المداميك الحجرية*، و يمكن اعتبار القاعة الرئيسية والمدخل استمرارا للأروقة الغربية للحرم، حتى وإن لم تكن على امتداد هذه الأروقة، ولا شك أن وجود هذا البناء قد أغنى التركيب المعماري للحرم الشريف ومحيطه.

* نفس المصدر السابق، ص ٥٩٣.

القاعة الرئيسية أو قاعة المجمع:

وهو البناء الرئيسي الباقي من المدرسة الأصلية في يومنا هذا، يتوسط القاعة عمودان كبيران يبدوان كامتداد لأعمدة أروقة الحرم الغربية، وتقسم القاعة إلى ستة أقسام يغطي كل منها عقد متقاطع، ويتم الدخول إلى القاعة مباشرة من ساحة الحرم عبر مدخل يتوسط واجهتها الشرقية، وعن يمينه ويساره نافذتان مستطيلتا الشكل يعلو كل منهما قوس حجري موتور، ونشاهد في الجزء العلوي من الواجهة ثلاثة شبابيك من بأقواس مدببة.

وفي واجهة القاعة الجنوبية يقع شباك مستطيل الشكل، وهو نفس الشباك الذي سبق ذكره عند الحديث عن المدخل، والى يمينه يوجد محراب صغير بُني أيضا من الحجر الأبلق، ويقع في الواجهة الغربية بابان يفضيان إلى غرف إضافية كانت في الأصل تابعة للمدرسة البلدية، وهي تستخدم الآن مع قاعة المجمع كمقر لمركز المخطوطات الإسلامية.

صورة للأشرفية من ساحة الحرم، وفيها تظهر واجهة القاعة الرئيسة الشرقية والمدخل وواجهة الدرج

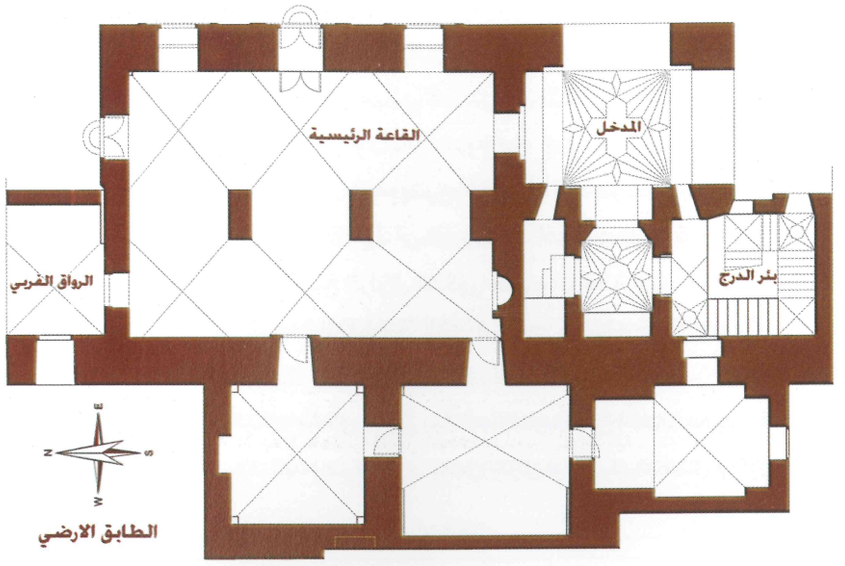

الدرج:

يتم الوصول إلى الدرج من المدخل عبر بهو مربع الشكل، وباستخدام هذا الدرج يمكن الوصول إلى الطابق الأول من المدرسة، ويبدو الدرج من المسقط الأفقي مربع الشكل، ويتكون من ثمانية "شواحط"، ويوجد لبئر الدرج ستة نوافذ من الناحية الشرقية تؤمن التهوية والإضاءة الطبيعية، وهي ذات أقواس مدببة من الداخل ومستطيلة الشكل من الخارج، ومرتبة بأزواج فوق بعضها البعض، بحيث يمكن للزائر معرفة وجود درج حتى قبل الولوج إلى المبنى.

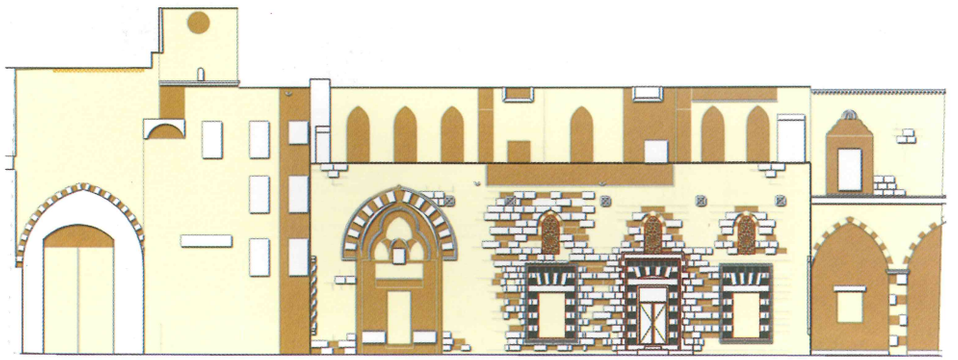

رسم يوضح واجهة الأشرفية المطلة على الحرم ويظهر فيها مدخل القاعة الرئيسية ومدخل الأشرفية

الطابق الأول:

تشير كثير من المصادر التاريخية إلى وقوع زلزال كبير في فلسطين نحو العام ٩٠٢هـ/١٤٩٦م*، أدى إلى تضرر وتدمير عدد كبير من مباني القدس، ويعتقد أن الطابق الأول من المدرسة الأشرفية قد تهدم بفعل هذا الزلزال، ولا نجد اليوم من البناء الأصلي سوى بقايا واضحة للواجهة الغربية وأجزاء بسيطة من الواجهتين الشمالية والجنوبية (القبلية)، وإذا صح الاعتقاد بتهدم البناء بفعل الزلزال، فلا بد أن المدرسة قد أعيد أعمارها بعد ذلك، فقد زارها ووصفها عدد من المؤرخين بعد تاريخ الزلزال المذكور، منهم الرحالة عبد الغني النابلسي في كتابه "الحضرة الإنسية في الرحلة المقدسية" الذي فرغ من تأليفه عام ١١٠١هـ، أي بعد زهاء مائة عام من تاريخ الزلزال، حيث نزل فيها ووصفها بأنها مدرسة ذات قدر جليل*، ويظهر من المراجع التاريخية عدم التأكد بشكل دقيق بما الم بالمدرسة من أحداث بعيد القرن التاسع الهجري*، وقد يكون المبنى قد تهدم مرة أخرى بفعل زلزال أو بسبب الإهمال وطول الزمن.

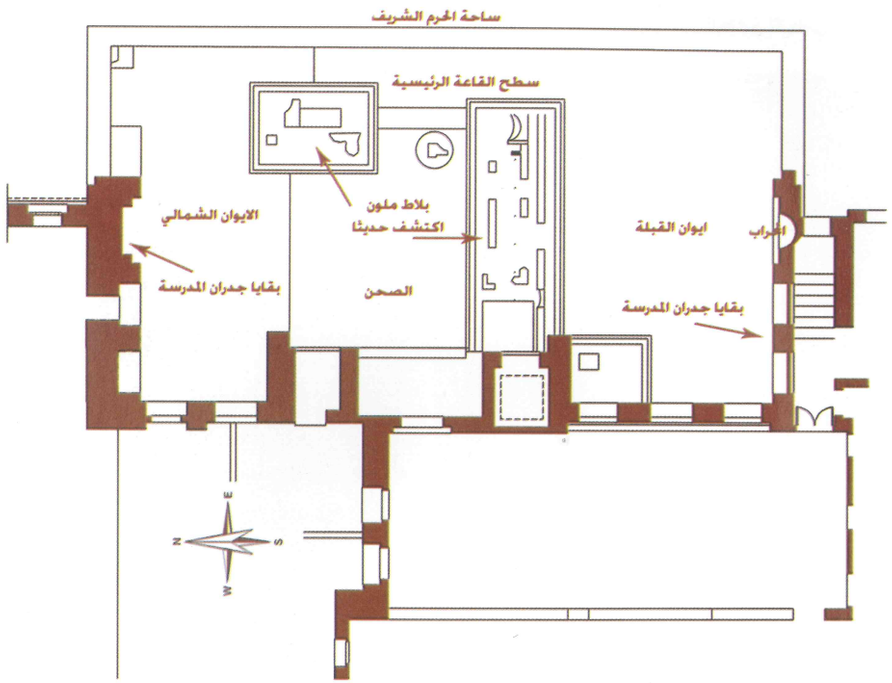

* معاهد العلم في بيت المقدس، ص ١٦٩.
* نفس المصدر السابق، ص ١٧٠.
* انظر أيضاً الملاحظة رقم ٣٥، ص ٦٠٥ من كتاب Mamluk Jerusalem بهذا الشأن.

يتم الوصول إلى هذا الطابق باستخدام الدرج آنف الذكر، ويعتقد انه كان يتكون من صحن رئيسي يتوسط المكان، وعلى جانبيه الشمالي والجنوبي إيوانان اصغر مساحةً هما إيوان القبلة والايوان الشمالي، وهناك بابان لا زالت أثارهما قائمة من الناحية الغربية يوصلان إلى الصحن، ويظهر في واجهة الإيوان الشمالي شباك مستطيل الشكل، في حين يوجد محراب صغير يتوسط الواجهة القبلية للإيوان الجنوبي، كما توجد غرف إضافية تمتد باتجاه الغرب مشكلةً مع الطابق الأول ما يشبه حرف L الانجليزي، وهي تقع فوق المدرسة البلدية المتاخمة للأشرفية من الناحية الغربية.

لا يتوفر لدينا معلومات دقيقة حول الشكل المعماري لواجهات الطابق الأول، إلا أن بعض المؤرخين قد استعانوا بالأوصاف التي ذكرها الرحالة الذين زاروا الموقع، وبالبقايا الأثرية وبما لديهم من معلومات عن عمارة العصر المملوكي لبناء رسم تخيلي للمدرسة الاشرفية في أوج عزها وازدهارها. كما يظهر في الرسم أدناه.

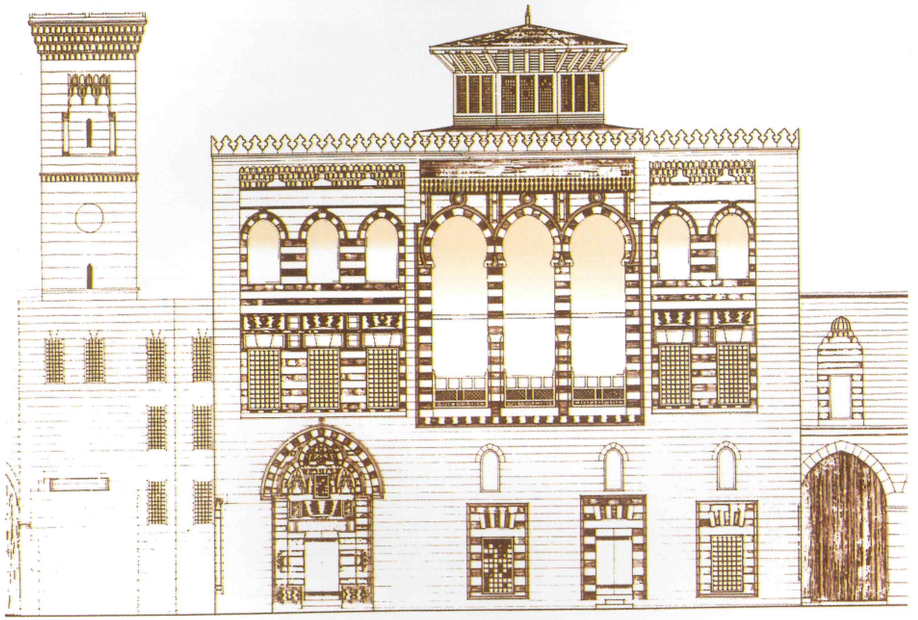

رسم تخيلي لواجهة الأشرفية الأصلية، المصدر: A.G. Walls

استخدامات المدرسة الأشرفية وأعمال الترميم الحديثة:

كما يظهر من الاسم، فان الهدف الرئيسي من البناء كان إنشاء بيت للعلم، رتب له السلطان شيوخاً وفقهاء وصوفية، كما وعين لها أوقافا من الأراضي والمباني في مدينة غزة والخليل ونابلس والرملة وغيرها*، وكان التدريس في الطابق العلوي.

بعد عدة عقود من الإهمال قامت دائر الأوقاف الإسلامية بترميم واستخدام القاعة الرئيسية كمقر لمكتبة المسجد الأقصى، حيث نقلت الكتب إليها من المتحف الإسلامي المجاور، في حيث استخدمت الغرف العلوية الواقعة فوق المدرسة البلدية كصفوف تدريس لثانوية الأقصى الشرعية للبنات، والتي يتم الوصول إليها عبر درج الأشرفية الذي سبق وصفة، ولا زالت هذه المدرسة تقوم بدورها في عين المكان حتى يومنا هذا.

أما القاعة الرئيسية فقد كانت تعاني من الرطوبة الشديدة، مما جعلها مكانا غير ملائم لحفظ الكتب، وفي العام 2002 قامت مؤسسة التعاون بأعمال ترميم شاملة للقاعة من الداخل والخارج، وذلك بغية استخدامها كمقر لمركز المخطوطات التابع لدائرة الأوقاف الإسلامية، وانتهت هذه الأعمال في العام 2005، واشتملت أعمال الترميم على تجفيف الرطوبة من الجدران وأعمال الصيانة وتجديد الشبابيك وتركيب زجاج معشق وقواطع خشبية، وأثناء العمل على عزل سطح القاعة تم الكشف عن مناطق مبلطة ببلاط اثري ملون، وعلى الأرجح فان هذا البلاط هو أرضية الطابق الأول، وقد جرى تنظيف الأجزاء السليمة من البلاط والحفاظ عليها وفقا للمعايير الدولية بهذا الصدد.

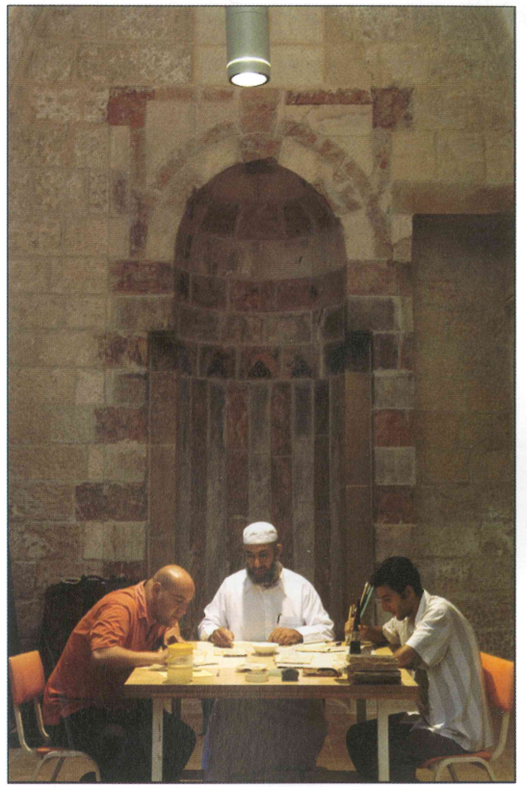

دارسون في مركز المخطوطات، ويبدو محراب القاعة الرئيسية في الخلف

* معاهد العلم في بيت المقدس، ص 159/160/161.

نماذج من البلاط الأثري الذي تم اكتشافه على السطح

جانب من القاعة الرئيسية بعد الترميم

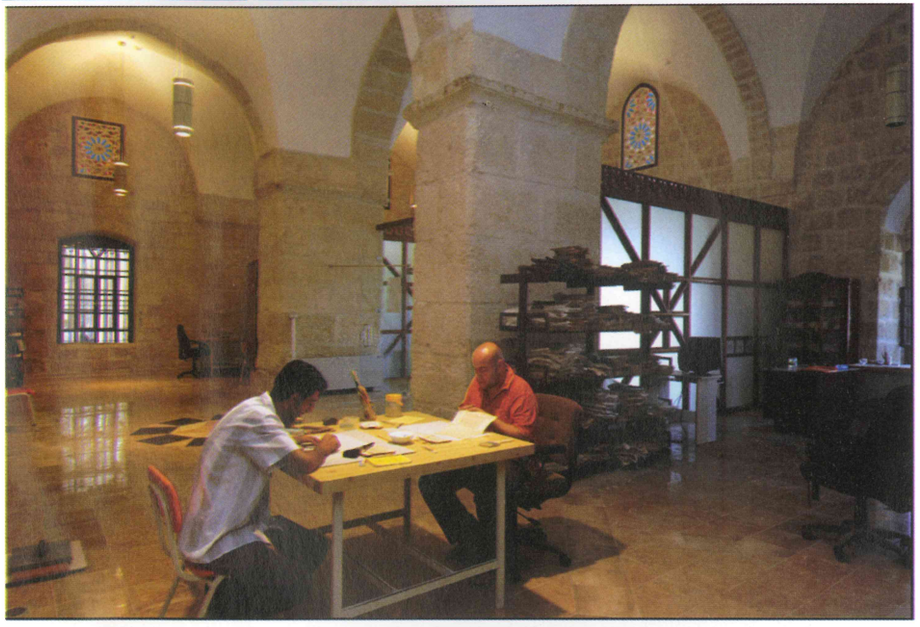

مركز المخطوطات بعد الترميم

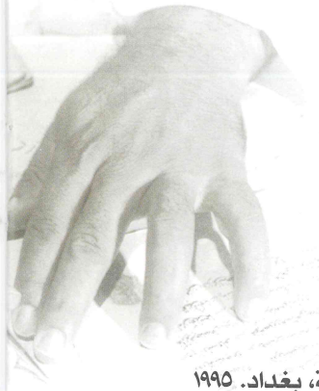

المراجع:

مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة النهضة، بغداد. ١٩٩٥

كامل العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان. ١٩٨٠

احمد العلمي، المدارس المملوكية في القدس، مركز القدس للابحاث، القدس. ١٩٩٩

Michael Burgoyne، Mamluk Jerusalem: an Architectural Study (London: Buckhurst Hill، 1987).

David Kroyanker، Jerusalem Architecture. Tauris Parke Books، London 1994.

نبذة عن مؤسسة التعاون

تأسست مؤسسة التعاون على عام ١٩٨٣ على أيدي مجموعة من رجال الأعمال والمفكرين الفلسطينيين والعرب لتوفير المساعدة الإنسانية والتنموية للفلسطينيين، ويستفيد من هذه المساعدة الجمعيات الأهلية الفلسطينية والمؤسسات المجتمعية والمنظمات الخيرية في فلسطين ولبنان، وتعتمد المؤسسة على مواردها من الفلسطينيين والعرب، وتستخدمها بمصداقية وفاعلية لدعم المجتمع الفلسطيني في الوطن والشتات، مما جعل المؤسسة اكبر واهم مورد للتمويل الخاص بالتنمية الفلسطينية.

تسعى مؤسسة التعاون إلى تطوير قدرات الإنسان الفلسطيني والحفاظ على تراثه وهويته ودعم ثقافته الحية وفي بناء مجتمعه المدني، وذلك من خلال التحديد المنهجي لاحتياجات المجتمع الفلسطيني وأولوياته، والعمل على إيجاد الآليات السليمة للاستفادة القصوى من مصادر التمويل المتاحة.

في عام ١٩٩٤ أطلقت مؤسسة التعاون برنامج إعمار البلدة القديمة في القدس، بتمويل رئيسي من الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، وذلك كجزء من جهودها لحماية التراث الثقافي في البلدة القديمة، ويهدف البرنامج إلى الحفاظ على التراث الديني والثقافي والنسيج العمراني للبلدة القديمة، وحث المجتمع المقدسي على التمسك بتراث القدس ومبانيها، وذلك من خلال مشاريع الترميم التي تؤدي إلى تحسين الظروف المعيشية داخل المباني التاريخية وتوفير بيئة سكنية صحية ومستوى لائق من الخدمات الحديثة والمرافق العامة، بالإضافة إلى نشاطات التوعية المجتمعية وإصدار الدراسات والأبحاث، ويقوم بهذه الأعمال طاقم المكتب الفني لبرنامج إعمار البلدة القديمة والمكون من مجموعة متميزة من المعماريين والمهندسين والمخططين وأصحاب الاختصاص.